

المقرب اللساني البنوي لدى بارت بين منطق الأدب ومُرجأ الكتابة

ناصر سطمبول*

يعد رولان بارت من الذين أسهموا في ترسيخ المبتغى العلمي للأدب وعليه كان جهده وقفا على تأدية تلك التأمّلات التصورية التي تراعي الأخذ بالأدب إلى جهة المعطى الإجرائي متعديا في ذلك تلك الجاهزية المعيارية التي ظلت تحصر الأدب ضمن حرج السياق كي تعزز وجودها من جهة الأخذ بمحددات النص ضمن صرامة جامدة وعليه ظلت جملة النصوص تدعن لمهيمنة الإسهام التجريدي لعبانية الأنموذج الذي تتقصده، وكذا ما تبنته المناهج لاتباعية النص الإجرائي وعليه ظل بارت R.Barthes يتوسم في حضور ذلك الكائن النصي الذي تؤديه الكتابة عبر تحولات اللغة وانعطافات البلاغة، كونها تجلي بنوية التكوين النصي في ضوء ذلك التكتيف من الأداء المنتهي إلى تلك المحصلة من الفرداء التي لا تعضدها اتباعية المباني وكذا الإذعان للجهاز من الوثوقيات المنهجية ونحوية المعايير مما يخول النصوص ضمن حرج المغلق من الاشتغال المكرر والدائري. هذه الصّلاية ظلت لا تبشر ذلك الاشتغال الدلالي لفردة النصوص ضمن أفق المتلقي وهو يؤدي تطويع النص إلى ذلك التقويض المفعم بالأداء المتعاقب في إنتاج دلالاته من غير أن يركن إلى المسلم به من الإكراهات حيث سكونية الأنساق ووهنا نزاحاته وفتور أبنيته، من هنا نتج ذلك الصراع المحتدم الذي سلكه بارت بين متقابلين متدافعين (السياق والنسق) أو ما بين تلك الاتباعية التقليدية وما أفرزته تلك التصورات المحدثّة مما انتهى حال هذا الأمر إلى ذلك النزوع في ترسيخ معالم التجدد في التواصل مع النص والاشتغال مع أنساقه المتحوّلة ومن ضمن المعالم الجوهرية لهذا الصراع الذي تمثل " في قراءة بارت لراسين مما أفرز وأثار سجالا ضد منطلقات النقد الأكاديمي الممثل في ريمون بيكار Raymond Picard الذي وصف إجراء إزاحة السياق وحياديته بالتدجيل النقدي وبالشمولية وبالزيف وبالادعاء. هذه الأوصاف تشير إلى الصراع النقدي بين القراءة السياقية والقراءة النسقية ومهما يكن من أمر فإن النقد الجديد تبنى فيما بعد المنهج البنوي ولاسيما في أوساط المثقفين الفرنسيين لقد وضع حدا لسيادة التفكير حيال النص / الوثيقة ".⁽¹⁾

*باحث أكاديمي / جامعة وهران 1 ، أحمد بن بلة ، وهران ، الجزائر.

من هنا ينبغي طرح بارت التصوري انطلاقاً من ثورته على ما أفرزه السياق التاريخي عبر تواصله لتلك الفلسفات التنظيرية التي عالجت النسق ومقولاته، وفي ضوء محصلته العلمية أدرك علمية الأدب عبر اقترابه البدئي من مطارحات دوسوسير اللسانية كونها خلّصت التفكير اللغوي من ذلك التأمل المغلق وتلك الصورية التي لم تنفتح على مقارنة اللغة من التفكير النسقي ومن ثم ترد تلك الحيازة العلمية للغة، مما حدا في المقابل بدوسوسير كي يقدّم ذلك الحضور الملفت للنسق إضافة إلى ما نتج لدى ليفي ستروس، Levieshttrauss ذلك أن النسقية تعد جوهرًا وموطناً لتلك الجدة من التصور، حيث اللغة ظلت عبر هذا المأخذ بين إطلاقية التأمل وإجرائية المعايير الجامدة وهذا حرجٌ لِرَّ إليه حال التفكير البارتي ولعل هذا ما شكل قلقاً لديه في "تأخير الوحدة الحتمية للكتابة" (2) على الرغم من أن النسق أفرزه الشكلاونيون الروس قبل أن يلج له ذلك الحضور الفعلي ضمن المعالجات اللسانية البنوية، وعلى هذا الأساس أدرك بارت أهمية المفارقة القائمة بين (الأبعاد التاريخية للغة من ناحية وكلام نصوص بأعيانها من ناحية ثانية وجذور هذه اللغة من ناحية ثالث (3)، مما عَنَّ له أن الأدب ظل ردحا من الزمن ينهض على صورية مغلقة يؤدي بالتواتر تلك الفاعلية من الأداء المرجع ووفق نمط من الإلزامية وحال من الإكراه الحرج ولرُهاب من الرقابة الأدبية ومن غير أن تنوط آلية فقه اللغة بمهمة جوهرية سوى التمكين لتلك الحرفية لمعاني العبارات الصماء أو مطاولة الثواني من المعاني كي تستشرف من خلالها وجهاً آخر مغايراً لتلك الفرادة الضيقة والأحادية الحرجة، في مقابل هذا أدرك بارت ما تؤديه اللسانيات في ضوء ذلك الاشتغال على دقائق محمولات النسق ومن غير أن تُبقي على غموض اللغة بقدر ما كانت مكرّسة على فهمه ومطاولته عبر تعاقب الوحدات اللغوية وكذا على تأسيس مشروعيتها في نحو ما انتهى إليه ياكوبسون في ترسيخ ذلك الصرح "للمقام العلمي حين ركز على الغموض المؤسس في الرسالة الشعرية" (4).

لذا يأخذ مُتصوّر بارت تلك الفاعلية الجوهرية من التقلّب إذ لم يركن ضمن أحادية المأخذ التصورية لمقولات النسق، مما حدا به كي يمتح ذلك التوتّب التصوري الذي يجوب كل النظم من غير أن يركن إلى ثبات قار، وعبر إدراكه للمحتمل النصي من جهة غموضه الذي تؤديه أنساقه الرمزية تبدّى له من جهة ذلك التخطي الذي طرحه "التحليل النفسي اللغوي لدى جاكلاكسان وهو ينفلت من اتباعية المذهب الفرويدي للسياق وكذا نسقية أنثروبولوجيا ليفي ستروس وفاعلية التعدي التصوري لدى ألتوسير عبر محدث القراءة لنصيّات ماركس الجدلية" (5).

إن مجمل هذا التحصيل أفرز لدى بارت الأخذ بنسقية الأدب عبر مُحصّلة الكتابات التي تجلي مجموعها وتؤدي مشمول حضورها عبر علمية مقولاتها، فالشكلاونية الروسية أنتجت هي الأخرى

بدورها تلك الفاعلية في ترسيخ علم الأدب من جهة النزوع إلى أدبية الأدب في ضوء مجانية الأخذ بمرجعيات الأسيقة وتحاشي التاريخي منها وكذا الأدبي وفي مقابله يرد "مبدأ تحاشي الاحتكام إلى المبدأ الذاتي (Dimension subjective) للأثر القصصي ومحو قيمته المرجعية" ⁽⁶⁾، وفق هذا الطرح يتضح أن مقاربات بارت اللسانية البنوية نتجت أساساً من ذلك التخطي لمرجعية دوسوسير اللسانية إذ أوقف فعالية تصوره المكابدة لعنت التلقي من جهة النقد الأكاديمي حيث تولدت معالم ذلك التدافع بينه وبين بيكار، مما أفرز معترك ذلك السجال بين أفق الانفتاح وكوابح الانغلاق ذلك التحول المؤدي إلى تلك التعددية من القراءة، مما نتج في المقابل انفتاح النص على هذا المعطى من الإجراء، ذلك أن محدّدات النص انعطفت إلى تلك الدلالات المفتوحة من غير أن تسند إلى مرجعية سيرة الكاتب ووثوقية سياقه التاريخي، غير أن بارت مكّنه هذا التصوّر كي ينسف هذه المأخذ المتبعة لسكونية الرتبة في قراءة النصوص ومن غير أن يظل المؤلف كاجبا في أداء القراءة، إذ مكّن مؤلّف راسين كي يكون مثيراً لحفيظة الدرس الأكاديمي ومُعتمداً لتطلعاته.

وعلى هذا الأساس تم لبارت تكريس جهده العلمي في تكريس ذلك الأنموذج الواعد لما يليه لعلمية الأدب بعمامة وكذا سُلّميات الخطابات عبر قاعدية الجمل دون الانحصار ضمن أداء مغلق لأوليات المعاني عبر تكديس لذلك الإرث المعياري وما يتصف به من صرامة موصدة لتلك التحويلات المجردة، وعليه انعطف بارت إثر فاعليته التصورية حين (استعار من هيلمسليف Hjelmslev فكرة المستويات الثلاثة والتي تنطوي عليها اللغة حيث يتصل أولها بالإطار (Schéma) وهو مصطلح يشير به بارت إلى الخصائص الصوتية كما يتصل ثاني المستويات بالمعيار (Règle) وهو مصطلح يشير إلى القاعدة الصوتية التي يحددها السياق الاجتماعي (حال جملة اللغة الفرنسية التي يقبلها الحس اللساني للفرنسيين) وثالث هذه المستويات هو الاستخدام (Usage)، إذ يتصف هذا الأخير بمجموعة العادات الاجتماعية التي تتمايز فيما بينها نحو نطق حرف من إقليم لآخر) ⁽⁷⁾.

وفق هذا الإجمال من التمثّل التصوري والإجرائي في الوقت نفسه، أمكن لبارت أن يقارب تلك الطبيعة النسقية وهو يُجري الأخذ بالفرع منها إثر مباشرته للأفق اللغوي، وعليه (يمكن أن يقوم علم للخطاب فقط، دون أن يكون حكراً على أحد، وستكون لهذا العلم أرضان واسعتان، وذلك من جهة ما يتعلق بالإشارات التي يعالجها، أما الأولى فتحتوي على الإشارات الدنيا للجملة... وأما الثانية فتحتوي على الإشارات العليا للجملة وعلى أقسام الخطاب، حيث يمكننا أن نستخلص بنية قصصية أو رسالة شعرية أو نصّاً استدلالياً) ⁽⁸⁾، وعبر هذا النمط من التشجير للخطاب ينتهي بارت إلى الأخذ

بالشكل صوب تلك العلاقات المضمرة والتي تتخطى في الوقت ذاته تلك الجُزافية من "التعميمات المتعسفة والتقديرات الاستقرائية الضالة" (9).

من هنا، يدرك بارت بنية القصة عبر مبرية السرد النسقي وكذا تعاقب وحداته اللغوية، كونها تنبني على تلك الأشكال المتناهية، إذ تقع ضمن ذلك التشكل الجامع وعلى محورية من التعالق النسقي بين صوغ الأشكال التعبيرية، الشفوية منها والمكتوبة والثابتة والمتحركة (10) كما أنها في الوقت ذاته تكاد تؤدي ذلك التبئير البنيوي من الحضور الدائم ضمن الأشكال اللامتناهية، لذلك فهي لدى بارت تتحدد بوصفها مداراة الأنماط البدئية والمتشكلة ابتداء من نسق السرد التاريخي إلى نسق الموضوعة في كل واجهة عرض زجاجية، من هنا يستشرف بارت عبر فاعلية تعاقب سردية القصة ذلك التنقل من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، وعليه يمكن التساؤل عن ما أثاره حول بنوية القصة كونها تختزل كليات الأدب السردية، وكأن النسق المفرد لم يعد له وجود أو يتمتع بحيازة الاستقلال الفردي، إذ يتوخى بارت من جهة تكوثر أنساق الأشكال السردية ضمن بنوية القصة إلى غاية الحد الذي يجعلها تتمركز في اللا معنى أم أنه نسق يُنذر بحضور اللانسق، كونها كونية بلا معنى (11).

هاهنا، يتخذ بارت من خطاب القصة مولجا للخطاب المطلق، فالمحكي من الخطابات سابق على التشكل النسقي المغلق لبنوية القصة، فهي المتعددة والخليط وهي التداخل والتقاطع والاشتراك، إذ هي " المحتمل الأكثر تعقيدا والمركب الأكثر بساطة " (12)، ولعل هذا في مجموعه يرد عصيا على المطاولة البنوية، لأن البنوية تأسست على مسلك تلك الوثوقية، وصرامة من النحوية التي تراعي جبر الوحدات مما دعا بتشومسكي حين أوعزه هذا الأمر كي ينعتها بالنزوع التصنيفي دون الانفتاح صوب إنتاج الدلالة التفسيرية ومن ثم فهي شرعة تنبني على التحدد لحسابية الوحدات اللغوية وجبرية العلاقة التعاقبية في نمط من المحايثة، إثر هذا يقدم بارت بنوية القصة كونها أنموذجا تجريبيا لا يخضع سوى لذلك الافتراض لأن اللامتناهي من جهة الانزياحات والتعدد والتنوع، ولعل هذا هو القصد من التحول اللامتناهي للنسقية التي تجعلنا نتساءل عن المغلق في معتقد البنوية وشرعتها، كونه تماهيا بوهم، مما ألقى بها صوب ذلك الانغلاق والانسداد على الرغم من الكونية التي انتهت إليها توصيفاته لها وكذا التعدد اللامتناهي، حيث يقابله بالإجراء الاستدلالي، مما يؤكد أن شمولية الأنموذج السردية هو نسق متحول دوما يتصل بمدارة اللاوعي الإبداعي مما لا يدعنا نركن إلى غفلة عن ذلك التكوثر للأنساق والتحولات التي تباشر فاعلية تشكلها وهي على نحو من المرونة المتوثبة إلى جهة اللا متوقع.

وفي مقابل هذا ينتهي بارت إلى الإفصاح، حين يذهب إلى أنه: (من الحكمة أن نجعل اللسانيات ... نموذجاً أساسياً للتحليل البنوي للسرد)⁽¹³⁾ مما دعاه كي يذهب إلى مدارسته ومعالجته بالتحليل إزاء ما سلف ذكره، إذ إنه، حين ينتهي إلى لغة القصة يتبني عن مارتينييه **Martinet** تلك الخصوصية للجملة، كونها تجلي ذلك المقطع الأكثر صغراً والتي تمثل الخطاب تمثيلاً تاماً وكاملاً⁽¹⁴⁾. وهنا يهتدي في الوقت ذاته إلى مسلك بنفينيست **Benveniste** حين ذلل تلك الصرامة لدى دوسوسير **Saussure** منتقلاً من سنن اللسان إلى فاعلية الخطاب، مما أفرز حيازة للذات المتكلمة، كما أنه استوحى عنه نظريات المستويات التوزيعية والاندماجية مما جعلها مسلكاً لمعالجة تعاقب المتواليات لنسق القصة ليخلص من هذا الطرح كي يقدم الخطاب بوصفه جملة كبيرة وهذا ما جعله كي يخلص إلى: أن القصة جملة كبيرة، منعطفاً إلى ما اقترحه غريماس حول نظام نمذجة الفواعل، منتهياً إلى أن اللغة لديه لا تكف عن مصاحبة الخطاب⁽¹⁵⁾، ثم ينتهي إلى انعطاف آخر يؤدي به إلى ما توخاه **ياكوبسون Jakobson**، قصد معرفة (البنية المزدوجة **Double structure**، ذلك المفهوم الذي فسّره **ياكوبسون** الأوضاع الخاصة للعلاقات بين الرسالة والشفرة ويفسّره بارت المعاني المزدوجة للكلمات في الكتابة)⁽¹⁶⁾ لقد أدرك بارت عبر تمثله لسياق العلاقات، كونها نظاماً تواصلياً، وعليه فما أدركته البنية من **سوسير**، أن أنساق الأبنية متعدية بذلك نسق اللغة، إذ يمكن مباشرتها بالمعالجة خارج تشكيلها المعزول، حيث تفتح على تلك الفاعلية من التشارك العام، وفق تمظهرات إشارية اجتماعية، وعلى هذا الأساس (فإن بارت كان الأكثر تقلباً من بين المفكرين البنيويين والذي أراد أن يذهب كي يجعل من اللغويات العلم القائد للسميولوجيا. وكان بارت سريعاً في استغلال الأسلوب البنوي عبر حقل الإشارات الثقافي من النصوص الأدبية إلى نصوص الطبخ، الأزياء، والفوتوغرافيا: -ضمن - كتابه عناصر السميولوجيا- ذهب إلى أنه - في اللحظة التي نتوجّه فيها نحو النظم حيث الإشارات الاجتماعية توجد بشكل ظاهري أكثر فإننا نكون في مواجهة أكبر مع اللغة)⁽¹⁷⁾، وفق هذا الطرح تأتت لبارت تلك الجسارة في افتراع ما انتهت إليه مقولات النسق، مما انتهى به الأمر إلى الأخذ بالجانب التصوري/النظري، وكذا الإجرائي ليصوغ طرحاً حول نظام الموضة **Système de la mode**، ولعل هذا الانخراط مكنه كي يلتفت إلى نمط من التناوب عبر حالات النظام التي يجليها، حيث تعدّ الموضة نسقاً أو نظاماً متقلّباً مما يجعلها (تتغير فجأة وبدون مقدّمات، مرة كل عام عندما يخرج علينا المضمون بمجموعة أزيائهم الجديدة - وإزاءها - يأخذ بارت بالشروح والتعليقات من أعداد سنة كاملة من مجلة: "Jardin des modes elle" - حيث- يبتكر مدونة طيّعة يمكن أن تضم، كما يأمل، الاحتمالات المختلفة في تلك المرحلة)⁽¹⁸⁾. وهنا يتوخى بارت التعامل مع مركب لتشكّل ثلاثي من الأبنية يبدي في مجموعة طبقية أنساق الموضة، وإثر

تواصلها ينعطف عبر آلية من التحول انطلاقاً من سياقها التعييني إلى الصورة ومن السياق التعييني إلى اللغة، ثم من الصورة إلى اللغة. ووفق هذا الترابط، فإن بارت يتعقّب تلك الدلالات القائمة بين بنية التشكل التقني وبنية الأيقونة إلى بنية التمثيل الواصف، ذلك أن الوصف لديه (هو أحد أدوات البنية، واللغة هي التي تمنح الإنسان الفرصة للانتقال من الموضوعات المادية إلى وحدات نظام من الدلالات وذلك بإظهار المعنى الذي كان كامناً في الموضوع بفعل سيروية التسمية) ⁽¹⁹⁾، عبر هذه الصلات من تعاقب الوحدات لنسق الموضوعة لدى بارت، كونها تؤدي سجلاً ضمن كل سياق زمني، حيث (توجد علاقة جديدة دالة هو التلطف الكامل للموضوعة ومدلولها، هو الصورة الذهنية للعالم، والموضوعة التي قامت المجلة بنقلها... وفي مقابل هذا- ترد الدلالات الضمنية -كونها تجلي تلك- المعاني التي تنتجها الأعراف عوضاً عن تلك التي تنتجها اللغات الطبيعية) ⁽²⁰⁾، وفي ضوء هذا الطرح، تسلك بارت إلى أتون دلالية يامسليف، كي ينتهي إلى تلك الغواية المباحة لأنساق الموضوعة وما تنهض عليه من بوارق مأكرة، إذ تتوثب عبر تلك الكثافة البلاغية التي تُصمّم شفرة الأزياء بالتعاقب انطلاقاً من التعييني إلى الرسم الغرافي إلى النقل الفوتوغرافي، وهي فئات أو وحدات متحوّلة تتأسس تباعاً على أنساق استبدالية متعاقبة، ومن هنا، تسنّى لبارت (خرق المبدأ والإطار الضيق لمفهوم التواصل "الذي حصرت داخله النظرية الوظيفية الأولى والصلبة -منذ حلقة براغ- مجموعة تصوراتها السيميائية بوصفه المعيار المبدئي الأول لكل تحليل دلالي" ... -بحيث- يصبح موضوع السيميائيات كل الأنظمة أو الأشياء التي تدل وتعني لبني البشر شيئاً ما، سواء أكانت تلك الأنظمة والأشياء لغات لفظية، أم غير لفظية أصلاً، كالإشارات والعلامات والأمارات والرموز، بذلك تطورت دلالية الدلالة وأعطت للدلالية عامة نفساً جديداً وشحنة قوية) ⁽²¹⁾ إثر هذا، لجأ بارت إلى تلك الاستراتيجية من الأداء العملي عبر نمط من الاختزال، وهو يعزو عبر تمثله للبنوية إلى ذلك الأخذ بلغة الموضوعة وليس الموضوعة في حد ذاتها وفق تعاقبها المتألف والمتنافر، ومن ثم فإن بارت يظل اقترابه هذا، بياشراً فاعلية التحول الذي قد لا يثبت صوب صرامة القاعدة لأن شفرة الأزياء لا تضارع بالضرورة شفرات النصوص عبر تحوّل الكتابات التي يضبطها الأنموذج اللغوي، على الرغم من انفتاحه ومرونته وطواعيته، غير أن نسق الموضوعة يحوّل مساره دوماً من فترة زمنية إلى أخرى، وإثر هذا، فهو يرتهن كي يضفي دلالة مغايرة ولو (على أتفه التعديلات...-وعليه- فإن نظام الموضوعة يقدم .. التناقض الرائع لنظام دلالي غايته الوحيدة هي تقويض المعنى الذي يطوّره على نحو وافر) ⁽²²⁾، ولعل هذا يعود أساساً إلى ذلك التضخيم للنسق الجمالي الذي يُسهم به تباعاً في أداء تلك الفاعلية من التحول ⁽²³⁾. كما أن وتيرة التحول تتفاوت بين منطق الأدب عبر فاعلية التشكل وحركات التقلب النصيّة إثر جدليّة العلاقات والتعارضات التي تباشر الأنموذج اللغوي،

كون أن الأدب يؤدي منطقته عبر صنفات من العلاقات الاستبدالية نتيجة لما يتأوبه من تلك التعارضات التي لا توافق تلك الوثوقية من الصرامة الراسخة والتي تقترب من الجبر المفعم بالترابطات المتماثلة وبالصبغ المكرورة⁽²⁴⁾. ولكون الكتابة مرشحة للتحوّل، فهي تختلف عن مؤشر الزمنية المعلومة في نسق الموضوعة، كونها ترتبها إلى فرضية تحوّل البنية الأفقية للأزياء عبر انصرام كل حوّل، مما تنجر عنها أوضاع تركيبية مخالفة ومغايرة، ولعل هذا التغيّر الذي تسهم به الكتابة كونها تنفلت دوماً من وثوقيات الأزمنة وشبكة الأنظمة القارّة التي تحوّل دون أيّ تخلخل، وعلى هذا الأساس ينقلب بارت صوب ذلك التشكّل المتعدّد الذي يقوِّض منطق الحياة للمفهوم السارتري للأدب، من غير أن تكون متجاوزة والتي تبررها كلية الواقع بوصفه استقطاباً ترتبها إليه مشمولات الأدب عبر اللغة، وبخاصة حين تلتزم حيال شيء خارجي⁽²⁵⁾، حيث التصنيفات الساكنة التي لا تنتهي إلى ذلك الانفتاح الذي أفرز لدى بارت الكثير من اصطلاحات التوهج المعرفي والتي تنتصر دوماً للمفارق وتشايح المغاير وتراهن على المختلف، وتنتصر للمحدث المفارق، وهذه في مجموعها (تشهد بتجربة انتشائية للفهم والنشوة سواء أكانت دينية أو استيتيكية أو جنسية، فلقد كانت دائماً موصوفة استعارياً كإحساس بكونها فارغة وبكونها مليئة كحالة الصفرو حالة امتلاء أعلى كلاهما يتناوب والآخر ويمائل أحدهما الآخر)⁽²⁶⁾، وهذا الذي مثل به بارت ضمن شبكية من العلاقات، حين قابل الكتابة عبر أنماطها بين شاتوبريان وفلوبير ومالارمييه وألبير كامو حين قدّم عبر هذا الأخير نزوعه إلى تلك الكتابة عبر مطافها الواعد والمبتغي لديه، كونها موضوعاً للغيب أو فيما يسمّها بالكتابة البيضاء أو درجة الصفرة للكتابة⁽²⁷⁾. حيث حضور فاعلية تخطّي السائد حتى تشرف على الصمت والحياد واللاكتابة، في نحو ما أنجزته أدبيات بلانشو Blanchot التصويرية أو الكتابة التي ترد (في نقطة تقاطع بين محوري "x" و"y" في الإحداثيات الديكارتية حيث تكون اللغة محور "x" عرضاً أفقياً والأسلوب محور "y" وحيداً ودالة)⁽²⁸⁾. فالكتابة البيضاء هي (بمثابة الحدّ البدئي للممكن حيث الامتلاء يقترب من الفراغ والسلب من الإيجاب، وتلك هي ملاحقة ما فوق الطبيعة)⁽²⁹⁾ في نحو ما يطاوله بارت تصويرياً وفي نحو حذو من الاقتراب من اللغة الواصفة، وضمنها ترد فجوة التواصل بين المتقابلات في غياب التاريخ والإيديولوجيا ورسوخ الفراغ الذي يرهن المؤلف إلى التلاشي، ضمن هذه الفجوة تشتغل الكتابة وفق ما دعاه دريدا بين الحاضر والغائب، حيث السطح البيني بين الأقطاب المتقابلة⁽³⁰⁾، ولعل التقويسية كونها أخرجت مؤدى البنية المغلق إلى ذلك الفحص لتلك التقابلات مما خلصت محصلة تلك المحايثة النسقية إلى تفكيكها وتقويس صوريتها وأطراح محددات انغلاقها ومن ثم، فالمرجأ هو ما لا يمكن حسمه وهو مجهول التقابل وفق ما يطرحه عن لغة الكاتب كونها (مغلقة بين أشكال مندثرة وأخرى مجهولة والكتابة هي

ظاهرة كثافة وانتصاب عميق تحت الأسلوب حيث اللغة تعمل كأنها سلبية، وكأنها الحدّ البدني للممكن⁽³¹⁾.

إن بارت يحمل متصورات التفكيكية إزاء تمثله لمتفصل الكتابة في نحو ما يتوسمها دريدا لدى أسلوب ميرلوبنتي بوصفه نسقا تقاطعيا⁽³²⁾، فالتقاطع أو التقابل هو تواصل متضاد⁽³³⁾، حيث الاختلاف والإجراء. ومن ثم، فإن مقرب بارت البنوي هو تصور لا يعززه التحدد المغلق للأنساق حيث يتغاضى عن تحديد وجهته ويتحاشى الإفصاح عن فرادة مسلكه التصوري، لأنه منفلت دوما من تلك المحورية المغلقة. وعليه، فهو متوزع ومنفتح في الوقت ذاته يكاد يماثل مركزية مُجسّم ضمن محيط مجموعة من المرايا حيث كل سطح من هذه المرايا يؤديه بكيفية معينة من التهيئة المنعكسة. وعليه، فهو لا يحتفظ بتلك المظهرية المفردة، إنه تلون ضمن دائرة من المرايا المؤدية لتلون عجيب من التجسيم والتشكل في نحو ما نجده وهو يقدم قراءة لبنوية الحضارة اليابانية حيث أنساق الأذواق والموضة وآداب اللياقة متشوشا آليات التقابل بين يوتوبيا الجمال وسحر الغموض والانفتاح على أيقونات الكتابة حيث سيميولوجيا الكاليفراف وروح الأسطورة الملتبس إلى غاية ترويض تلك الملاقط الخشبية كما تؤديها أعراف اليابانيين في طعامهم، إن بارت مهووس بفاعلية التجاوز وسيرورة التخلي الدائم.

لقد أفرد بارت لنفسه هذه المهمة الجسيمة، كي يخرج عن جاهزية التاريخ ومسلمات الإيديولوجيا وآليات الأخذ بمرجعيات الأسيقة وأفقية العلاقات وإتباعيات النقد وتقفي سلميات المناهج، وكذا الانفلات عن ذاتية المؤلف إلى الأخذ بالمقولات النسقية انطلاقا من المقرب البنوي كي تتأتى له تلك الحيازة التصورية لأنساق الأنموذج اللغوي بمنأى عن ذلك التداخل المتشابك الذي عثم الرؤيا، ليسدل الستار ويهتك الأقنعة ويفك الشفرة، منتها إلى ذلك التجرد حيث عيانية الجسد من غير دعاية شبكية، وكذا إخراج الإيديولوجيا من برقع التخفي الجامد، مما دعا ببارت كي ينتهي إلى الكامن وراء محصلة هذا كله في نحو ما أخذ به بالنقد صوب راسين Racine كونه علامة مضافة لتلك المنهجية اللانسونية ونزوعها المغلق ضمن الدرس الجامعي إلى ميشليه كونه علامة لتوزع خلقي، حيث يشكل هذا محورا في محصلته للخطاب النقدي وهذا المأخذ من التناول أفرز نمطا من الانفتاح المنتهي لمكن التعدي إلى غاية الخلوص إلى تلك القراءة التي لا تدعن لتلك الجاهزية من أعراف المعايير إلى تذوق النص والإحساس بكوامنه من غير وسائط، إلى غاية الأخذ بتلك المسألة عن أنساق الأزياء ومطالوة الإعلام لها لما يُسمّى بأدب الأزياء وكذا معرفة الخفي من كوامن الولع بها ومركزية هذا التحول المائج بكل محدث عبر خطابات الدعاية والترويج، منعظا إثر هذا إلى طوايا النصوص الخفية

ومنسحبا في الوقت ذاته عن عجيج السياسة وضجيج الإيديولوجيا ووثنيات المؤلف إلى وجهة ما يعتمل داخل النصوص عبر ما تؤديه الكتابة في انفتاحها على المجهول من الأشكال، وعلى هذا الأساس ظل بارت يمارس أداء السؤال التفكيكي كي يمارس إلغاء جاهزية مفهوم البناء ومن ثم فإن الكتابة نتجت لديه بوصفها فلسفة تنسف صرح تلك الحصانة لذات المؤلف لأن اللغة ليست ملكا لأحد في حذو ما يذهب إليه مالارميه، كما أن الإحاطة تسوير للنص واعتساف تدعيه شرعة الامتلاك.

وفي مقابل هذا، فإن النص لدى بارت لا يدعن لصاحبه، لهذا ظل ينفلت من وثوقيته السياقية لصاحبة وكذ النسقية من جهة قسرية المعايير، لأن طبيعة التفكيك الذي أجراه بارت نتجت عن تأملاته في شبكية الكتابة ولعبة التخطي المزمّن، لذلك فهي بالنسبة له تشجير من توزيع استبدالي مستغرق، وفي الحاصل فإن مأخذ التفكيك نتج من التأمل السيميولوجي الذي بدوره يتخطى ثبات اللغة فيعقب تلك الكفاية من التشكل المقفل والمتعقل.

إن إجرائية بارت تشوّفت ذلك التقابل عبر تجايف الكتابة، كونها تليّ لديه مباشرة فلسفة المرجأ ولعبة المختلف الذي يعتمل ضمن أبنية النصوص وفي المقابل فإنه لا يُسلمها لذلك الثبات الذي تشايعه البنوية، لأن التقاطع والتقابل والتداخل مفرز بالضرورة لآليات التفكيك ومنذر بتشظي وثوقيات الأجناس الأدبية، انطلاقا من لسانيات دوسوسير وما أفرزته أنساق اللاوعي للغة لدى لاكان، إنها بؤرة اللاتباث بين اللغة والبناء، ولعل هذه فاعلية التخلخل لصرح البنوية والتي أخذ بارت يفتش أركانها في مواجهة ذلك القيد لتلك النحوية لنظام الأبنية النصيّة، لأنه وفق تعقّبه التصوري لا يمهّل نفسه للإبقاء، لأن النسق الذي أرساه دوسوسير أكد أن اللغة ترتب دوما للتحول والنسق لديه محصّلة لأي فاعلية لغوية، كونها تتأسس على الاختلاف وفضاء المرجأ العابر صوب التحول، حيث الكتابة حمّالة لذلك التدافع مما يجعلها مشرعة على المحتمل، إذ هي تكوثر مفتوح على تخوم اللامتناهي وفاعليات اللاتحدّد المباغتة بكل محدث من الأنساق، من هنا أدرك بارت زيف تلك الوثوقيات لأبنية الأيديولوجيا والتاريخ وحصانات الأدب التي كرسها شرعة الالتزام صوب كل ما هو خارجي، إلى غاية تلك السجلات البدئية لزيف الدرس الجامعي وهو يغطّ ردحا من الزمن تحت نير اللانسونية الراسية من غير تحول ينذر بالجديد، مما نتج عنها ذلك الاستتباع في نفس تلك السلمييات لقيد المنهج ووثنية المؤلف وتبجيل المعيار كي تتأوب النص وما يعتمل ضمنه لما تؤديه الكتابة، كي يظل السؤال التفكيكي عند منتهى الرمح الأخير في رحلة مطاف تأمل بارت الأبدي هو على أهبة العبور صوب ميتافيزيقا اللغة، كونها حضورا يتوسم نفسه مطابقا أو مفارقا، بمنأى عن زيف

سيمائيات

الوجود التعيني وبمعزل عن كل إرغامات للتمثيل وإكراهات التعيين مؤدية ذلك الاحتفاء في حلٍّ من كل تعطلٍّ معقلن إلى حدس ذلك المقام الأعلى لمناط الوجود الأمثل.

هوامش البحث:

1. أحمد (يوسف)، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، ط 1، 2001-2002، ص: 93.
2. ينظر، بارت (رولان) نقد وحقيقة، تر- منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، -الأعمال الكاملة- ج 3، حلب، سوريا، ط1، 1994، ص: 81.
3. كيرزويل (أديث)، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر جابر عصفور، دار آفاق للصحافة والنشر، بغداد، 1985، ص: 182.
4. ينظر: بارت (رولان)، نقد وحقيقة، تر: منذر عياشي، الأعمال الكاملة، ج 03، ص: 85.
5. كيرزويل (أديث)، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، دار آفاق للصحافة والنشر، بغداد، 1985، ص: 182.
6. سمير (المرزوقي)، جميل (شاكر)، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الدار التونسية للنشر، ص: 68.
7. 81: P / Minuit, 1971, Ed/ Louis Hjelmslev, Essais linguistiques, Paris, - Voir/ 1
- كيرزويل (أديث)، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر جابر عصفور، دار آفاق للصحافة والنشر، بغداد، 1985، ص: 183.
- مثل هذه المستويات الثلاثة نجد أن كل خاصية تقابل ما قدمه التوزيع لدى دوسوسير، حيث المخطط أو الإطار (المخطط الخالص للغة لدى هيمسليف) يقابل اللسان، الخاصية الثانية تقع على الجانب المادي للغة ويطلق عليه المعيار إثر ذلك يرد الاستعمال كمقابل للكلام لدى دوسوسير.
8. بارت (رولان)، نقد وحقيقة، تر/ منذر عياشي، الأعمال الكاملة 03، ص/ 96.
9. ينظر المرجع نفسه، ص: 104.
10. بارت (رولان)، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، دار الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 01، 1993، مج 02، ص: 25-26.
11. ينظر المرجع نفسه، ص: 26.
12. المرجع نفسه، ص: 27.
13. المرجع نفسه، ص: 29.
14. المرجع نفسه، ص: 30.
15. المرجع نفسه، ص: 33-34.
16. كيرزويل (أديث)، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر جابر عصفور، ص: 184.
17. نورس (كريستوفر) التفكيكية النظرية والتطبيق، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط 01، 1992، ص 33.
18. كلر (جونان)، الشعرية البنيوية، تر: السيد إمام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/ 01، 2000، ص 56.

19. المرجع نفسه، ص 56.
20. المرجع نفسه ، ص 56.
21. ينظر: بارت (رولان) ، س / ز ، تر: محمد بن الرافة البكري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط / 01 ، 2016 -مقدمة المترجم-، ص 17.
22. كلر (جوناثان)، الشعرية البنيوية ، تر: السيد إمام، ص 62.
23. ¹ - Roland (Barthes) , systeme de la mode , ed ; seuil , paris 1967, p 23-24-25-26.
24. بارت (رولان)، الدرجة الصفر للكتابة، تر: محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مطبعة المعارف الجديدة، ص 63.
25. ينظر: سونتاك (سوزان)، الكتابة بالذات بصدد بارت، تر: محمد سويرتي، إفريقيا الشرق، المغرب، ص 31-33.
26. المرجع نفسه، ص 37.
27. بارت (رولان)، الدرجة الصفر للكتابة ، تر: محمد برادة، ص 14.
28. سيلفرمان (ج.هيو) ، نصيات من الهيرومينوطيقا، والتفكيكية، تر: حسن ناظم، وعلي حاكم صالح ، المركز الثقافي العربي ، ص 112.
29. ينظر: بارت (رولان)، الدرجة الصفر للكتابة ، تر/ محمد برادة، ص/18.
30. ينظر: سلفرمان (ج.هيو)، نصيات، ص 132.
31. ينظر: المرجع نفسه، ص 35-36.
32. ينظر: سلفرمان (ج.هيو)، نصيات، ص 270.
33. بارت (رولان)، الدرجة الصفر للكتابة ، تر: محمد برادة، ص 41.